ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

تفيير دراماتيكي في خارطة المواجهة المباشرة في ذكرى سليماني والمهندس.. والانتقام قادم

نجاح محمد علي

لطالما كانت الولايات المتحدة تتآمر على إيران وارتكبت بحق شعبها الكثير من الجرائم حتى قبل أن يتحول البلدان الى خصمين لدودين .

و يمكن إرجاع هذه الجرائم والانتهاكات إلى عام ١٩٥٣ على الأقل ، عندما أطاح انقلاب برئيس الوزراء المنتخب ديمقراطياً محمد مصدق . كان الانقلاب مدبراً ومخططاً له من قبل عناصر المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية. أطلقت المخابرات البريطانية على العملية اسم عملية التمهيد بينما أطلقت المخابرات الأمريكية عليها اسم مشروع أياكس/ أجاكس . اعترفت المخابرات الأمريكية بمسؤوليتها عام ٢٠١٣.

توترت العلاقات بعد انتصار الثورة الاسلامية التي قادها الإمام الخميني وأسقطت في العام ١٩٧٩ شاه إيران المدعوم من الولايات المتحدة بعد أن أصبحت إيران جمهورية إسلامية .

في ذلك العام ، وسط تداعيات الثورة واستمرار التدخلات الأمريكية ، اقتحم "الطلبة السائرون على نهج الإمام الخميني" السفارة الأمريكية في العاصمة طهران ، وتم احتجاز عشرات الأمريكيين كرهائن . ظل الجانبان في صراع أخذ يتصاعد منذ ذلك الحين.

كانت هناك محاولات لإذابة الجليد الدبلوماسي تكللت بالنجاح في عام ٢٠١٥ خلال إدارة الرئيس الديمقراطي باراك أوباما. وافقت إيران على صفقة تأريخية للحد من برنامجها النووي ، مما أدى إلى تهدئة المخاوف الدولية المفتعلة . لقد فعلت ايران ذلك مقابل رفع العقوبات الاقتصادية القاسية التي فرضت عليها دون وجه حق بحجة إخفاء برنامجها النووي .

لم يحل ابرام الصفقة النووية دون أن تواصل الولايات المتحدة سياساتها العدائية إذ شكل انتخاب الرئيس الجمهوري دونالد ترامب في العام التالي تحديًا أكد أن الادارة الأمريكية شيطان أكبر سواء أكانت ديمقراطية أم جمهورية. رفض ترامب الاتفاق النووي و وصفه بأنه "أسوأ صفقة تم التفاوض عليها على الإطلاق"، لكنه استخدم الحديث عنها لابتزاز الحكومات العربية المعارضة لها كالمملكة العربية السعودية .

في عام ٢٠١٨ ، تخلى ترامب عن الاتفاق النووي الايراني تمامًا وأعاد فرض العقوبات الأمريكية بدرجة "الضغط الأقصى " لإجبار قادة إيران على الموافقة على صفقة جديدة وفق شروطه – وهو أمر رفضوه ، وعملوا في الوقت نفسه على منع الاقتصاد الإيراني من الدخول في ركود عميق من خلال تقليل اعتماد الميزانية على واردات النفط ومشتقاته.

صعّد ترامب الضغط في مايو أيار ٢٠١٩ من خلال تطبيق عقوبات ثانوية على الدول التي واصلت التعامل مع إيران.

استمرت الخطوات العدائية في أبريل نيسان ٢٠١٩ ، عندما صنف وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو الحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس كمنظمات إرهابية أجنبية.

قالت إدارة ترامب إن فيلق القدس قدم التمويل والتدريب والأسلحة والمعدات للجماعات "الإرهابية" المصنفة من قبل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط – بما في ذلك حزب الله وجماعة الجهاد الإسلامي الفلسطينية المتمركزة في غزة.

وتدهورت العلاقات أكثر عندما تعرضت ست ناقلات نفط للتخريب في خليج عمان في مايو ويونيو ٢٠١٩ في ضوء تصاعد الأزمة في اليمن. واتهمت واشنطن إيران بالوقوف وراء تلك الهجمات. ونفت إيران ذلك.

في يوليو تموز ، بدأت طهران في تعليق بعض الالتزامات التي تعهدت بها بموجب الاتفاق النووي.

ثم ، في أواخر ديسمبر كانون أول من السنة ذاتها ، ألقت الولايات المتحدة باللوم على فصيل عراقي هو كتائب حزب الله في هجوم صاروخي قتل متعاقدًا أمريكيًا في قاعدة كي وان في كركوك بشمال العراق. وقامت واشنطن بقصف قواعد مرتبطة بالحشد الشعبي على الحدود بين العراق وسوريا ، مما أسفر عن استشهاد ٢٥ مقاتلاً على الأقل .

أثارت تلك الاعتداءات الأمريكية رد فعل عنيف في العراق . شهد محيط السفارة الأمريكية في العاصمة بغداد مظاهرات من قبل حشود من المحتجين حاول بعضهم اقتحام الجدار الخارجي وكتبوا عليه شعارات . واتهم ترامب إيران بالتخطيط لهجوم مرتقب على السفارة وحذر من أنها "ستدفع ثمناً باهظاً للغاية".

في ٣ يناير كانون الثاني ٢٠٢٠ ، ارتكب ترامب غلطة عمره باستهداف الجنرال قاسم سليماني ، وأشرف بنفسه على العملية الارهابية الغادرة التي نفذتها طائرة بدون طيار على مطار بغداد . الضربة الجوية الأميركية التي أدت إلى استشهاد سليماني ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس ، أُعتبرت تصعيدا خطيراً أقل بقليل من إعلان حرب لكنه قد يمهد لإشعال فتيل حرب مدمرة في المنطقة .

قال الأمين العام لحزب اللّه لبنان السيد حسن نصر اللّه بعد يومين ،إن استشهاد القائدين يمثل "بداية مرحلة جديدة" في تاريخ الشرق الأوسط، متوعدا الجيش الأميركي بدفع الثمن.

قال نصر اللّه في إشارة إلى اليوم الذي نُفذت فيه العملية الغادرة، إنه "تأريخ فاصل بين مرحلتين في المنطقة.. هو بداية مرحلة جديدة وتأريخ جديد ، ليس لإيران أو العراق وحسب وإنما للمنطقة كلها".

وصف المرجع الديني الأعلى آية اللّه العظمى السيد علي السيستاني الضربة الجوية الأميركية بـ"الاعتداء الغاشم بما مثّله من خرق سافر للسيادة العراقية وانتهاك للمواثيق الدولية، وقد أدّى الى استشهاد عدد من أبطال معارك الانتصار على الارهابيين الدواعش " وأكد "أن هذه الوقائع وغيرها تنذر بأن البلد مقبل على أوضاع صعبة جداً ".

واعتبر الأمريكيون الجنرال – الذي كان يسيطر على القوات التي تتهمها واشنطن بالعمل بالوكالة عن إيران في جميع أنحاء الشرق الأوسط – إرهابيًا ، حيث زُعم أنه مسؤول عن مقتل مئات من القوات الأمريكية وكان يخطط لهجمات "وشيكة".

تعهدت إيران "بالانتقام الشديد" وقالت بعد يومين إنها تخلت عن الحد الأخير لتخصيب اليورانيوم الذي فرضه الاتفاق النووي. ليل السابع / الثامن من نفس الشهر تم قصف قاعدة عين الأسد التي تضمّ قوات أمريكية وذلك بالتزامن مع قصف قاعدة حرير في مدينة أربيل بكردستان العراق. .قال الإمام السيد علي خامنئي إنها مجرد صفعة [في عين الأسد].لكن هكذا أعمال عسكريّة لن تكون كافية، ما يهمّ هو أنّه يجب إنهاء التواجد الأمريكي المسبّب للفساد في هذه المنطقة. في غضون ذلك ، حذر ترامب من أن الولايات المتحدة سترد في حالة الانتقام "ربما بطريقة غير متناسبة".

يمكن القول إن الشهيد قاسم سليماني كان أقوى شخصية في الجمهورية الإسلامية بعد القائد الأعلى السيد علي خامنئي .

بصفته قائد فيلق القدس ، كان سليماني العقل المدبر لأنشطة المقاومة في جميع أنحاء الشرق الأوسطوفي مناطق أخرى من العالم حتى أنه تأثيره وصل الى الحديقة الخلفية للولايات المتحدة في البحر الكاريبي ، وقد وصفه الكثيرون بأنه كان وزير خارجيتها الحقيقي عندما يتعلق الأمر بمسائل الحرب والسلام.

كان سليماني يُعتبر على نطاق واسع مهندس صمود الرئيس سوريا أمام حرب الإرهاب العالمية ، وسقوط دولة داعش الارهابية في العراق ، والقتال ضد التكفيريين ، والعديد من المعارك الأخرى في اليمن وفلسطين وفي لبنان وأفغانستان وفي فنزويلا .

وباعتراف الأمريكيين أنفسهم ، يمثل اغتيال القائدين قاسم سليماني و أبو مهدي المهندس ، تصعيدًا خطيراً في الصراع المنخفض المستوى بين الولايات المتحدة وإيران وعموم محور المقاومة والذي ستكون عواقبه كبيرة.

الانتقام أمر حتمي لأنه جزء من الوفاء خاصة بالنسبة لمحور المقاومة. أرسل الأمريكيون رسائل لايران تقول إنهم سيقدمون مكافآت ويرفعون عقوبات معينة إذا تخلت ايران عن السعي للانتقام لسليماني. لكن وكما يقول الايرانيون ، هذا تفكير أمني. القائد الأعلى سيد علي خامنئي يشدد على الانتقام ، وقائد الحرس الثوريقال إن الانتقام أمر لا مفر منه "وسنحدد نحن الزمان والمكان لذلك".

لا أحد يعرف حقًا ما سيأتي بعد ذلك ، ولا حتى الأمريكيون أنفسهم. ولكن مع استمرار خطوات واشنطن العدائية ، من المرجح أن تكون الأضرار الجانبية الناجمة عن اغتيال قاسم سليماني – المهندس أكبر مما ساوم عليه ترامب وإدارته ، فإيران لديها استراتيجية مرتبطة بالواقع و التحكم بالخلل الوظيفي للاستراتيجيات المستقبلية وحدود الشرق الأوسط . يمكن أن تكون العواقب الإقليمية الأوسع سلبية على المصالح الأمريكية – لا سيما في العراق.

و يمكن أن تؤدي سلسلة من الإجراءات والانتقام إلى تغيير دراماتيكي في خارطة المواجهة المباشرة. وقد يكون مستقبل واشنطن في العراقوالمنطقة موضع تساؤل. وستختبر استراتيجية واشنطن "الجمهورية أو الديموقراطية" للمنطقة- بشكل لم يسبق له مثيل، خصوصاً وأن الايراني معروف عنه أنه يذبح أعداءه بقطنة، و أن عصا الانتقام التي يضرب بها ، لا صوت لها !

ألمانيا: خشية من تحقق «خطة مورغنثاو»

ليلى نقولا

ستواجه ألمانيا تحديات على صعيد المنافسة في جذب الاستثمارات، ولكن ما يمكن أن يخلق إرباكاً إضافياً للاقتصاد الألماني هو تلويح المفوضية الأوروبية بتقليل الاعتماد على الصين.

في كتاب شهير للباحث الأميركي من أصل ألماني ووزير الخزانة الأميركية هنري مورغنثاو بعنوان «ألمانيا هي مشكلتنا» (١٩٤٥)، قدّم مورغنثاو «خطة» للتعامل مع ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية. ومن ضمن الخطة تجريد ألمانيا ما بعد الحرب من صناعاتها وتحويلها إلى اقتصاد زراعي، معتبراً أن هذا هو الحلّ الأنسب لمنعها من أن تصبح مرة أخرى تهديداً للسلام العالمي والتوسع على حساب جيرانها.

بعد مرور ٧ عقود ونيّف، يخشى العديد من الاقتصاديين في الغرب من أن يشكّل العقد المقبل ما كان يصبو إليه مورغنثاو في خطته، وأن تتجه ألمانيا بفعل الحرب الأوكرانية وبفعل سياسات أولاف شولتس وحكومته إلى عدم التصنيع.

تقاطعت سياسات أولاف شولتس مع السياسات التي انتهجتها أنجيلا ميركل، التي ركّزت على النمو الاقتصادي، وساهمت عبر تعزيز العلاقة مع روسيا (تأمين الغاز بأسعار منخفضة) وفتح باب اللجوء للسوريين (تأمين يد عاملة) في تعزيز الصناعات الألمانية، فأصبحت ألمانيا رابع أكبر اقتصاد في العالم وثالث أكبر مصدر للبضائع.

مباشرة بعد بدء الحرب الأوكرانية، اندفع المستشار الألماني أولاف شولتس في ٢٧ شباط/فبراير ٢٠٢٢ إلى الإعلان عن خطة لتعزيز الجيش الألماني، وتعهّد تقديم ١٠٠ مليار يورو (١١٢,٧ مليار دولار) من ميزانية ٢٠٢٢ للقوات المسلحة، ووعد بالوصول إلى ٢٪ من إجمالي إنفاق الناتج المحلي على موازنة الدفاع استجابة لمطالب حلف الناتو، وهو ما استمرّت ميركل برفضه، على الرغم من كل التهديدات التي قام بها دونالد ترامب.

اليوم، يتحدث العديد من الاقتصاديين بتشاؤم عن مستقبل التصنيع في الاتحاد الأوروبي ككل، وفي ألمانيا على وجه الخصوص، ويشيرون الى أن مستوى التصنيع سيتراجع حتماً في القارة بسبب التضخم والركود وارتفاع أسعار الطاقة في أوروبا، ليأتي أخيراً قانون «خفض التضخم الأميركي»، فيشكّل خطراً حقيقياً على أوروبا أكثر مما يشكّله على الصين نفسها.

تشير الإحصاءات الرسمية الألمانية، بحسب إحصاء أجراه اتحاد الصناعات الألمانية (BDI) في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، إلى أن حوالى ٢٠٪ من الشركات الصناعية الألمانية المتوسطة الحجم (Mittelstand) تفكر حالياً في نقل مواقع إنتاجها إلى دول ثالثة بسبب ارتفاع أسعار الطاقة والحوافز الضريبية في أماكن أخرى، فيما تفكّر أخرى في الإقفال بسبب الكلفة الباهظة.

أمام هذا الواقع، تنظر كل من فرنسا وألمانيا إلى الحلول لهذه المعضلة بطرق متباينة. يجد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن هناك حاجة لإجراءات أوروبية مماثلة لقانون التضخم الأميركي تسمح بدعم الشركات الأوروبية، وأن يكون لأوروبا «إطار خاص بها» تسمح بموجبه بإعطاء حوافز وإعانات للشركات الخاصة للبقاء في الاتحاد.

في المقابل، تتباين الرؤى في ألمانيا حول الإطار المثالي لمواجهة خطر «عدم التصنيع» وهجرة الصناعات والاستثمارات، ففيما يقول تيار سياسي داخل ألمانيا إن أوروبا بحاجة إلى إطار قانوني جديد يسمح بـ «الإعانات للإنتاج الصناعي» للحفاظ على الصناعات في جو من الحمائية الدولية، يدعو تيار آخر إلى تنظيم المجال الاقتصادي بدل دعمه، ويقول إن المنافسة والسباق العالمي على دعم الصناعات ليسا حلاً، وإن التحدي والمنافسة يجب أن يكونا على «مستوى المنافسة والابتكار»، وليس الدعم الحكومي.

ويتجه العديد من المسؤولين الأوروبيين إلى دعم فكرة إنشاء «صندوق سيادي أوروبي» يقوم بتأمين الأموال اللازمة لحماية المصالح الأوروبية في وجه الحمائية الأميركية والمنافسة الصينية التي تتمتع بتنافسية أفضل بسبب الكلفة الأقل التي تؤمّن هامش ربح أكبر، لكن تبرز التحديات في أوروبا على الشكل التالي:

١- تخشى دول الاتحاد الأوروبي من أن سنّ قانون أوروبي يسمح لكل دولة بأن تقوم بدعم صناعاتها وشركاتها الوطنية قد يؤدي إلى مشاكل كبرى، ويلحق الضرر بالسوق الأوروبية المشتركة، فيكون باستطاعة الدول الأكبر والأكثر اقتداراً تقديم الدعم لشركاتها، فيما تعجز عن ذلك الدول الأفقر، وهذا سيخلق هوّة بين الشركات في الاتحاد الأوروبي نفسه.

٢- في المقابل، قد يكون الحل هو ما اقترحه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بأن يقوم الاتحاد الأوروبي بإنشاء آلية لتقديم حوافز وإعانات مالية مشابهة لما يقوم به الأميركيون تحت عنوان «اشترِ أوروبياً".

لكن تخشى بعض دول الاتحاد أن يكون تأسيس «الصندوق السيادي الأوروبي» المقترح عاملاً مقوّضاً للوحدة الأوروبية، إذ تتم المنافسة والتزاحم داخل الاتحاد الأوروبي للحصول على الإعانات والدعم للشركات الخاصة، وعلى النسب والكوتا التي يمكن لكل دولة الحصول عليها.

ويعتبر العديد من الليبراليين الأوروبيين أن هذا يتعارض مع معايير المنافسة الاقتصادية، ويخلق مخاوف من الحروب التجارية داخل الاتحاد، ويتعارض مع قواعد منظمة التجارة العالمية.

في النتيجة، ستواجه ألمانيا، كما الاتحاد الأوروبي، تحديات على صعيد المنافسة في جذب الصناعات والاستثمارات في ظل زيادة الحمائية الأميركية وزيادة أسعار الطاقة، ولكن ما يمكن أن يخلق إرباكاً إضافياً للاقتصاد الألماني، المتضرر الأكبر من قطع العلاقات مع روسيا، هو تلويح المفوضية الأوروبية بتقليل الاعتماد على الصين، علماً أن الأخيرة هي أكبر شريك تجاري لألمانيا (اشترت بقيمة ١٠٠ مليار يورو من البضائع الألمانية العام الماضي). حينها، وحفاظاً على الوحدة الغربية، ستسير ألمانيا نحو تطبيق «خطة مورغنثاو» فعلياً بانعدام التصنيع.

أرفعوا أيديكم عن سورية... إنها لن تركع

خالد السفياني

سورية المعادلة الصعبة في الصراع مع أعداء الأمة.

سورية التي أحببناها وأحبّتنا.

سورية التي صمدت وانتصرت والتي ستصمد وتنتصر...

سورية التي أخطأ البعض عندما اعتقد أنها ستنهار في ظرف أيام، أو أسابيع على الأكثر.. وأنّ رئيسها، الرئيس بشار الأسد، سيجمع حقائبه ويغادرها تاركاً شعبه ووطنه لغلاة الإرهاب والتطرف!

فمرّت الأيام، ومرّت الأسابيع والشهور، ثم السنوات، وانهار أعداؤها، وجمعوا حقائبهم أو تركوها وراءهم...

سورية التي تعرّضت لأبشع أنواع التخريب والتدمير والتقتيل، ولكنها لم تستسلم، ولم ترضخ، وظلت صامدة، إلى أن حققت النصر.

سورية التي يستمرّ العدوان عليها، والتي تُنهَب ثرواتها من طرف الأعداء، وتتعرّض لحصار هو الأسوأ في التاريخ في محاولة لتحقيق ما عجز عنه أعداؤها بالسلاح وبالحرب القذرة، عن طريق تجويع شعب بأكمله والاستمرار في تدمير بنيتها ومحاولة الاستيلاء على مقدراتها والمراهنة على انهيارها واستسلام شعبها وجيشها وقيادتها.

سورية التي تخضع منذ مدة لما يسمّى بـ «قانون قيصر» الذي لا يطال سورية وحدها، بل ينسحب على لبنان وعلى محيطها بأكمله .

سورية التي لم تتوقف، بل تصاعدت حملات التشويه في حقها، باستخدام وسائل الإعلام والتواصل في نشر أكاذيب وإشاعات مختلقة للنيل من معنويات شعبها وجيشها، تصل الى حدّ الادّعاءات حول المخدرات وغيرها.

سورية المقاومة... سورية المتشبّثة بالثوابت والرافضة لأية مساومة عليها.. سورية التي كانت دائماً ملجأً لأبناء الأمة وأحرار العالم، وملجأً للمقاومين الأحرار.. سورية التي لم تبخل يوماً على أبناء أمتها اياً كان الثمن، لا تستجدي أحداً وتظلّ مرفوعة الرأس، رائدة في العزة والكرامة، لكن علينا نحن أبناء هذه الأمة العظيمة وعلى أحرار العالم، يقع واجب نصرة سورية، ودعمها ومواجهة مخططات أعدائها، والمساهمة في معركة رفع الحصار عنها وإسقاط ما يسمّى بـ «قانون قيصر»، وتحرير باقي الأراضي السورية، ووضع حدّ لنهب ثرواتها، والتصدي لكافة أشكال الحرب التي يخوضها ضدّها أعداؤها وأعداء الأمة، وفي مقدّمهم الكيان الصهيوني الإرهابي العنصري الغاصب والإدارات الأميركية المتعاقبة...

إنه واجب علينا وليس منّة على سورية...

إنه دفاع عن الأمة وليس مجرد دفاع عن سورية...

لأجل ذلك، أدعو كافة أبناء الأمة وأحرار العالم الى الانخراط في هذه المعركة بكافة مكوناتهم السياسية والديبلوماسية والنقابية والحقوقية والمجتمعية.

تحية لسورية العظيمة قيادة وشعباً وجيشاً...

وخسئ المتآمرون على سورية وعلى الأمة...